الرَّحْمَةُ ودلالاتُها في أدَبِ الصَّحَابة

إعداد:
د. محمَّد شمس عُقاب
كلية الآداب – جامعة دِمياط

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اتَّبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد.

فإنَّ للرحمة معنًى في اللغة يدورُ على: الرِّقَّة، والتعطُّف، والمغفرة. والمَرْحَمَةُ: لفظٌ مثلُ الرحمة. وقد رَحِمْتُهُ وتَرَحَّمْتُ عليه. وتَراحَمَ القومُ: رَحِمَ بعضهم بعضًا. وتَرَحَّمْتُ عليه: أَي: قلتُ: رَحْمَةُ الله عليه. واسْتَرْحَمه: سأَله الرَّحْمةَ. ورجل مَرْحومٌ، ومُرَحَّمٌ، شُدِّد للمبالغة[1].

والرحمةُ بهذه المعاني معنًى إسلاميٌّ أصيل، ضاربٌ بجذوره في مقاصد الشريعة الإسلامية، بل إنَّ الشريعة الإسلامية لم تأتِ إلا لتَرحمَ الخلْقَ جميعًا: إنسَهم وجنَّهم، شجرهم، وحجَرهم، ودوابَّهم، وكلَّ ما خلق اللهُ عز وجل؛ ألم يقل الله جل وعلا مخاطبًا نبيَّه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، وهو خطابٌ بأسلوب القصر، أَي: ليس لك يا رسولَ الله إلا أن تكون كذلك، وما أرسلناك إلا لذلك!

فالإسلامُ إذن دينُ الرحمة، وهي المبتغاةُ من الرسالة، وعليها يقومُ أمر

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، محمد بن مكرّم بن علي (رحم)، تحقيق: عبدالله علي الكبير وزميليه، دار المعارف بمصر.

الدين كلِّه، رحمةً للعالمين في الدنيا، والآخرة. عَلِمَ هذا مَنْ عَلِمَ، وجَهِلَهُ مَنْ جَهِل.

وكان الصحابة -وهم أقربُ الناس إلى رسول الرحمة، وأعلمُ الناس بأحواله وما يتنزَّلُ عليه- كانوا أفقهَ الناس بهذا المعنى الجليل، الذي من أجله بُعث النبيُّ ﷺ، أخذوا هذا عن رسول الله ﷺ[1]، فتعلَّموه، وعملوا به، في حياته ﷺ، وبعد مماته. نجد أثرَ هذا في سيرتهم، وما خلَّفوه وراءهم من القول والعمل.

ونحن نجد وَصْفَ حالهم مع رسول الله ﷺ، وحالَ رسول الله معهم فيما قصَّتْه هذه الآيةُ العظيمةُ المبيِّنة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩] أي: أنَّ رحمتك يا محمد بهؤلاء الخلق، إنما هي رِزْقٌ وعَطِيَّةٌ لك من الله عز وجل!

وفي هذه الورقة سوف نقتصر على بحث على ما أورثه لنا الصحابةُ في هذا المعنى شعرًا ونثرًا، وما يتبعُ ذلك من الدلالات، محلِّلين بعضَ النماذج التي تجلو النصَّ، وتُخرِجُ ما فيه من الأسرار والإشارات والعاطفة؛ وما أكثر ذلك وأصدقَه في أدب الصحابة ﷺ، وخاصَّةً في موضوعٍ كموضوع الرحمة!

(١) مما أُثر عن النبي ﷺ في (الرحمة) ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال خَليلي وصفيِّي صاحب هذه الحجرة ﷺ: «ما نُزِعَتْ الرحمةُ إلا من شقيّ» (رواه الحاكم في: المستدرك على الصحيحين ٢٧٧/٤، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١١هـ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه).
وعنه ﷺ قال: قَبَّل رسولُ الله ﷺ الحسَنَ بنَ عليٍّ وعنده الأقرع بن حابس التميميّ جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرةً من الولد ما قبَّلت منهم أحدًا. فنظر إليه رسولُ الله ﷺ ثم قال: «من لا يَرحم لا يُرحم» (صحيح البخاري رقم ٥٥٣٨، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣/ ١٤٠٧ هـ).

القسم الأول
(الرَّحْمَةُ) في شِعْرِ الصَّحابَة

الرَّحمةُ في شعر الصَّحابة قبل الإسلام:

لا نريد أن نجترئ فنقول: إنَّ (الرحمة) كانتْ قليلةَ الذكر أو كثيرتَه في شعر الصحابة قبل الإسلام؛ ذلك أنه يعتري شعرَ القوم قبل الإسلام -وبعده أيضًا- ما يعتريه من غَبَشٍ في مسألة التوثيق والرواية، وليس هذا مجالَ القول في ذلك، فإنه لحديثٌ ذو شجون. ولكننا نقولُ: إنَّ معنى الرحمة فيما وجدناه مما صحَّ ابتداءً في شعر القوم بعد الإسلام أكثرُ منه قبلَه، بل إنَّه لا مجال للمقارنة بينهما في ذلك، فكفَّة الشعر في الإسلام طائشةٌ بتلك المقارنة لا محالة. وسببُ ذلك معروفٌ، وهو أنَّ الإسلام دينُ الرحمة، فمجيئُه هو الذي أذاع هذا المعنى ونَشَرَهُ في الناس وعلى ألسنة الشعراء والأدباء بعد ذلك.

ولعلنا نذكر من هذا القليل الذي وردتْ فيه (الرحمةُ) قبل الإسلام قولَ كعب بن زهير رضي الله عنه:

لَعَمْرُكَ لولا رحمةُ الله إنني ... لأمطو بجَدٍّ ما يُريد ليُرفعا
فلو كنتُ حُوتًا رَكَّضَ الماءُ فوقَه ... ولَوْ كُنْتُ يَرْبُوعًا سَرَى ثم قَصَّعَا[1]

(١) شعر كعب بن زهير، إملاء أبي العباس الأحول ص١٧٩ (ملحق الفائت من شعره)، نسخه وعارضه وصححه عبدالعزيز الميمني، راجعه وعارضه برواية السكرب محمد صالح إبراهيم فرحات، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ١٤٣٥هـ).

ونذكر منه قولَ الخنساء في رثاء أخيها صخرٍ قبل الإسلام في مرثيتها التي مطلعُها:

ما لِـذا المَوْتِ لا يَزالُ مُخيفَا كُلَّ يَـوْمٍ يَنـالُ مِنّـا شَـريفَا

قالتْ تمدحُه وتدعو له بالرحمة وغيرِها:

عاشَ خَمسينَ حِجَّةً يُنكرُ المُنْـ ـكـرَ فينـا ويبـذُلُ المعروفَـا

رحمـةُ اللهِ والسَّـلامُ عليـهِ وسَـقَى قَبـرَهُ الرّبيـعُ خَريفَـا

فمثل هذه الأبيات من نحو قول كعب بن زُهيرٍ والخنساء رضي الله عنهما، أقصى ما يمكننا إيجادَه في شعر أولئك القوم من الصحابة قبل الإسلام. أما بعد الإسلام، فقد وجدنا لهم في أدبهم شعرِه ونثرِه؛ ذِكْرًا كثيرًا للرحمة في مواضعَ شتَّى، نُجملُها فيما يأتي:

(الرحمةُ) في رِثَاء الرَّسُول ﷺ:

رثاءُ الرسول ﷺ هو أكبر الأغراض الشعرية التي ورد فيها ذِكْرُ (الرحمة) عند الصحابة، لا يُدانيه في ذلك غَرَضٌ غيرُه. ولرثاء الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ خُصوصيَّةٌ منحصرةٌ فيهم؛ إذ إنه هو الفنُّ الذي لم يقُل فيه أحدٌ من الخلق سواهم رضي الله عنهم؛ ذلك أنَّ ما ورد بعدهم من شعرٍ في الحُزن على النبي ﷺ، أو نَدْبِه، أو تأبينه، أو ما يشبه ذلك من المعاني؛ إنما هو داخلٌ في باب (المدائحِ النبوية)، وهو ما استقرَّ عليه مصطلحُ القوم[1].

وقد جاء ذكر الرحمة في رثاء النبي ﷺ على ألوانٍ وصور:

فتارةً يصفونَ النبي ﷺ نفسه بأنه هو الرحمة -وهو أكثر تلك الصور التي جاء فيها الوصف بالرحمة- كقول حسان بن ثابت رضي الله عنه في مرثيَةٍ صحيحةٍ له:

(١) انظر مثلًا كتاب: المدائح النبوية في الأدب العربي، للدكتور زكي مبارك (مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٥٤هـ).

آلَيْتُ حِلْفَةَ بَرٍّ غَيْرِ ذِي دَخَلٍ ... مِنِّي أَلِيَّةَ بِرٍّ غَيْرِ إِفْنَادِ[1]
بِاللهِ مَا حَمَلَتْ أُنْثَى وَلاَ وَضَعَتْ ... مِثْلَ النَّبِيِّ رَسُولِ الرَّحْمَةِ الهَادِي[2]

أو كأنَّ حسان وهو يصف النبي ﷺ بذلك يُنبِّهنا على صفة ما جاء به النبي من الرسالة، فيقولُ: إنما هي رحمةٌ كلها، ولم يكن محمدٌ ﷺ إلا رسولًا بها.

ويرثيه مُرَّانُ بنُ عُمَيْرٍ ذو مُرَّان[3] بقصيدةٍ تقطرُ أسًى، مطلعُها[4]:

إِنَّ حُزْنِي عَلَى الرَّسُولِ طَوِيلُ ... ذَاكَ مِنِّي عَلَى الرَّسُولِ قَلِيلُ
قُلْتُ، وَالمَوْتُ يَا إِمَامُ[5] كَرِيهٌ: ... لَيْتَنِي مِتُّ يَوْمَ مَاتَ الرَّسُولُ!

يقول فيها وقد وصفَ النبيَّ ﷺ بالرحمة كذلك:

يَا لَهَا رَحْمَةٌ أُصِيبَ بِهَا النَّا ... سُ تَوَلَّتْ، وَحَانَ مِنْهَا الرَّحِيلُ
جَدَعَتْ قَوْمِيَ الأُنُوفَ وَأَجْرَتْ ... دَمْعَ عَيْنٍ، فَلِلْجُفُونِ هُمُولُ

إنه هنا يقتفي كتابَ الله عز وجل في قول الله تبارك وتعالى ذكرُه واصفًا نبيَّه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، وقد استعمل صيغةَ التعجب في التعبير عما يجيش في غمراتِ نفسه، أي: أتعجَّب منها كيف أقبلتْ تلك

(١) الإفناد: التكذيب وتضعيف الرأي.
(٢) انظر: ديوان حسَّان بن ثابت ٢٧٢/١ (تحقيق: الدكتور وليد عرفات، دار صادر ١٩٧٤م، مصورة عن طبعة منشورات جب التَّذكارية ١٩٧١م).
(٣) الهمْداني، القَيْل ابنُ القَيْل، كاتَبَ الرَّسول ﷺ والدَه (انظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمعها محمد حميد الله ص٢٣١) وقام هو في قومه في الردَّة يثبّتهم على الإسلام، راثيًا محمدًا ﷺ فاتّبعوه وأطاعوا أمره (انظر: منح المدح أو شعراء الصحابة ممن مدح الرَّسول ﷺ أو رثاه، لابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله ص١٥٩-١٦٠ (تحقيق: عفت وصال حمزة، دار الفكر، دمشق، ط١/١٤٠٧هـ).
(٤) الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، للحسن بن أحمد الهمْدانيّ ٤٨/١٠-٤٩ (تحقيق: محب الدين الخطيب، الدار اليمنية، ط١/١٤٠٧هـ).
(٥) يعني الإمامَ المهاجر بن أبي أمية المخزومي، كان أميرًا عليهم مما يلي صنعاء، أمَّره الرَّسول ﷺ (انظر: مِنَح المدَح ص١٠).

الرحمةُ على الناس فأنجتهم من العذاب الأليم، ثم أتعجَّب كيف سيصبر الناس على رحيلها عنهم، وهو يتعجَّب أيضًا من مثل هذه الرحمة المحمدية التي لم يشهد الخلقُ مثلَها في سابق العهود والأزمان[1]. وفي مثل هذا العمل من أعمال التعجب يقولُ الزمخشريّ: «ومعنى التعجب تعظيمُ الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيءٍ خارجٍ عن نظائره وأشكاله»[2]، وكذلك كانت رحمة النبيّ ﷺ بهؤلاء الخلائق.

أما صفيَّةُ بنت عبدالمطلب عمَّةُ النبيِّ ﷺ فإنَّ لها قصبَ السَّبق والتقدُّمَ في وصف النبي بهذا الوصف، أنه الرحمة؛ في عدَّةٍ من مراثيها المتواردات عقب وفاة الحبيب ﷺ، منها مرثيَتُها لها بائيَّةٌ مطلعُها[3]:

عَيْنُ جُودِي بِدَمْعَةٍ تَسْكَابِ ... لِلنَّبِـيِّ المُطَهَّـرِ الأَوَّابِ

فقد قالت تُعدِّد أخلاقَه الحميدة فيها، التي منها الرحمة:

مُشْفِقٍ، نَاصِحٍ، شَفِيقٍ عَلَيْنَا ... رَحْمَةٍ مِنْ إِلَهِنَا الوَهَّابِ

ثم دعتْ له بـ (الرحمة) بعد هذا البيت في تناسبٍ لفظيٍّ ومعنويٍّ دالٍّ، فقالت:

رَحْمَـةُ اللهِ وَالسَّـلَامُ عَلَيْـهِ ... وَجَزَاهُ المَلِيكُ حُسْنَ الثَّوَابِ

ومن تلك المراثي مرثيَتُها الداليَّة التي أولُها[4]:

آبَ لَيْلِـي عَلَـيَّ بِالتَّسْـهَادِ ... وَجَفَا الجَنْبُ غَيْرَ وَطْءِ الوِسَادِ

فقد قالت فيها:

(١) انظر: المراثي النبوية في أشعار الصحابة: توثيق ودراسة، لمحمد شمس عُقاب ص٤٠٩ (مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ط١/١٤٣٥هـ).

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، للزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر ٥٢٣/٤ (تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت).

(٣) الطبقات الكبرى، لابن سعد، محمد بن منيع الزهري ٢٨٦/٢ (تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١/١٤٢١هـ).

(٤) المصدر السابق ٢٨٦/٢.

رَحْمَـةً كَانَ لِلْبَرِيَّـةِ طُـرًّا فَهَـدَى مَـنْ أَطَاعَهُ لِلسَّـدَادِ

وفي داليَّةٍ أخرى لها أولُها[1]:

عَيْنُ جُـودِي بِدَمْعَةٍ وَسُـهُودِ وَانْدُبِـي خَيْرَ هَالِكٍ مَفْقُودِ[2]

قالت:

فَلَقَـدْ كَانَ بِالعِبَـادِ رَؤُوفًـا وَلَهُـمْ رَحْمَـةً، وَخَيْرَ رَشِـيدِ

وفي همزيةٍ منسوبةٍ إلى أمِّ أيمن -وقد صحَّحْتُ نِسبتَها إلى صفية رضي الله عنها[3]- مطلعُها[4]:

عَيْنُ، جُودِي؛ فَإِنَّ بَذْلَكِ لِلدُّمْـ ـعِ شِـفَاءٌ، فَأَكْثِرِي مِلْبُـكَاءِ[5]

قالت:

فَلَقَـدْ كَانَ مَـا عَلِمْتِ وَصُولا وَلَقَـدْ جَـاءَ رَحْمَـةً بِالضِّيَاءِ

فالحكمة عند هذه الصحابية الجليلة من مجيئ النبي صلواتُ الله عليه بالوحي، أن يكون للخَلْق رحمة، كذا رأى الصحابةُ نبيَّهم ﷺ.

ومن تلك الألوان أن يصفوا بعضَ آثار النبيِّ ﷺ فيهم بالرحمة، فهذا ذُو الكَلاَع الحِمْيريُّ -وهو من جيل الصحابة الذي عاصروا النبيَّ ﷺ[6]- قد وصف بقاء النبيِّ ﷺ بينهم بأنه كان (رحمة)، وهو لا شكَّ يعني النبي

(١) المصدر السابق ٢/٢٨٦.
(٢) السهود: الأرق (اللسان: سهد).
(٣) انظر: المراثي النبوية في أشعار الصحابة، لمحمد شمس عُقاب ص٣٤٥.
(٤) الطبقات الكبير ٢/٢٨٨، ومِنَح المدَح ص٣٣٧.
(٥) إسقاط نون «من» الجارَّة قبل لام التعريف ذائعٌ في كلام العرب، كقول الشاعر:
لم يَشْجُ قلبي مِلْحوادثٍ إلا صاحبي المتروكُ في تَغْلَمْ
(المفضَّليات، للمفضّل بن محمد الضبّي ص٢٣٨ (تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، ط٦).
(٦) انظر: مِنَح المدَح، لابن سيد الناس ص١٠١.

ﷺ نفسَه وليس يعني البقاء، من صفة الشيء ببعض آثاره مَجازاً؛ وذلك قولُه في بكاء النبيَّ ﷺ والأسى على فراقه:

قَدْ أَتَى حِمْيَرَ أَمْرٌ شَامِلُ ... قَاطِعٌ لِلظَّهْرِ مُزْرٍ بِالأَمَلْ[1]

مَوْتُ مَنْ كَانَ بَقَاهُ رَحْمَةً ... كُلُّ شَيءٍ مَا خَلاَ هَذَا جَلَلْ[2]

فكأنَّ موتَ النبيِّ موتٌ للرحمة، أو قُل إن شئت: كأنَّ موتَ سُنَّة النبي وهَدْيه موتٌ لما جاء به من الهَدْي والرحمة. وقد استعملَ ذو الكَلاع فنَّ الطباق ليُشير إلى هذا المعنى، فطابق بين لفظتي: الموت، والبقاء؛ ليُلمع من طرْف خفيٍّ إلى أنَّ ملخَّص الرسالة وبقاءَها بعد موت النبي إنما هو في الرحمة، وأنَّ نفادَ هذه الرحمة موتٌ وإفسادٌ لما جاء به النبيُّ ﷺ.

(الرَّحْمَةُ) في مَدْح النبيِّ ﷺ:

لم يقتصر وصفُ النبي ﷺ بصفة الرحمة على موته، بل إنَّ الصحابة وصفوه ﷺ بها مادحين إيَّاه حالَ حياته، مثلما جاء في قول قيس بن طريف[3] يمدحُ النبيَّ ﷺ في يوم بدر ويذكر إجلاء بني النَّضير:

نَبِيٌّ تُلاقِيهِ مِنَ اللهِ رَحْمَةٌ ... فَلا تَسْأَلُوه أَمْرَ غَيْبٍ مُرَجَّم

فقد كان في بَدْرٍ لَعَمْرِيَ عِبْرَةٌ ... لكم يا قُرَيْشُ، والقَلِيبِ المُلَمْلَم[4]

والرحمة في هذين البيتين معنًى مختلف، فهي التي تسعى إلى النبيّ ﷺ لا هو الذي يسعى إليها، وهذا من جميل المجاز وصائبه، تشريفًا لمقام النبي ﷺ ومقداره.

(١) أمر شامل: عامّ (تاج العروس: شمل). مُزْر بالأمل: مُقصّرٌ به، مُحقِّره، مُهوّنه (اللسان: زرى).

(٢) انظر: مِنَح المدَح، لابن سيد الناس ص١٠١. وفي اللسان (جلل): الجلَل: من الأضداد: القليل اليسير، ومنه قول امرئ القيس يرثي أباه:

بقتل بني أسَدٍ ربَّهُمْ ... ألا كل شيءٍ سواه جَلَلْ

(٣) صحابيٌّ مدح النبي ﷺ في يوم بدر (الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني ٤٨٢/٥، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١٤١٢/١هـ).

(٤) المصدر السابق ٤٨٢/٥.

كما أنهم وصفوه بالرحمة بعد موته ﷺ في مقام المدح، ولعل هذا كان متأخِّرًا شيئًا ما لقوم من أبناء الصحابة أو صغارهم ممن لم يشهدوا وفاةَ النبي ﷺ، أو شهدوها وهم صغار، فلم يقولوا في رثائه؛ من مثل إياس ابن سَلَمَة بن الأَكْوَع، وهو رجلٌ مختلَفٌ في صُحبته[1]، ولكن لا شكَّ أنه من جيل الصحابة الذين شهدوا آثارَ النبي ﷺ، أو كانوا قريبي عهدٍ بحياته، ولذلك لا نعجبُ أنْ نراه يقول في مدح النبي ﷺ:

سَمْحُ الخَليقة، ماجِدٌ، وكَلامُهُ حَـقٌّ، وفيـه رحمـةٌ ونَـكَالُ
أولادُ قَيْلَـةَ حَوْلَـهُ فـي غابـةٍ كالأُسْدِ تَرْفَأُ حَوْلَهَا الأَشْبَالُ[2]

وكأنه قد شهد الرسول فوصفه بذلك الوَصْفِ ذي السِّمةِ التشبيهيَّة.

(الرَّحْمَةُ) في رثاء غير النَّبيّ ﷺ:

رَثَى الصحابةُ غيرَ النبي ﷺ، وذكروا في أشعارهم صفة الرحمة يدعون بها لموتاهم، فمن الدعاء القديم بالرحمة للميِّت في الإسلام، قولُ حسَّان بن يرثي نافعَ بن بُدَيْلٍ -في عهد النبيِّ ﷺ وحياته- وكان نافعٌ قد أسلم قديمًا، ثم استُشهد في بئر معونة رضي الله عنه[3]، قال حسَّان:

رَحِـمَ اللهُ نافـعَ بـنَ بُديـلٍ رحمةَ المشـتهي ثوابَ الجهادِ

(١) قال ابنُ حجر: ذكره ابن عبدالبر في الصحابة وقال: مدح النبي ﷺ بشعر. وفيه نظر. قلت: إن كان هو الذي روى عنه أبو العميس فليست له صحبة، لأنه ولد في زمن عثمان، وإن كان لسلمة ابن يقال له إياس أيضاً فهو محتمل. وقد سبق ابن عبدالبر إلى ذلك المرزباني في معجمه، لكن لم يصرح بأن له صحبة... (الإصابة ١/١٦٤).

(٢) الإصابة ١/١٦٤

(٣) نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي، كان قديم الإسلام، واستشهد في عهد النبي ﷺ، إذ بعث رسول الله ﷺ المنذرَ بن عمرو إلى أهل نجد في سبعين رجلًا من خيار المسلمين منهم نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقتلوا، رضي الله عنهم (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، = = أحمد بن علي العسقلاني ٦/٤٠٤ (تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١/١٤١٢هـ). وقد نسب ابنُ حَجَر المرثيَةَ إلى عبدالله بن رواحة، وذكر نسبةَ السُّكريّ إيَّاها إلى حسان بن ثابتٍ في الديوان. وهي إلى ماء شعر ابن رواحة أدنى، والله أعلم.

ثم يقول في هذا الرثاء معيدًا ذكر الرحمة، مُسنِدًا إلى الفقيد صفتَها، في مقام الثناء عليه والندب له:

واللّه ربي لا نُفارقُ ماجدًا ... عَفَّ الخَليقَة، ماجِدَ الأجدادِ
متكرِّمًا يدعو إلى ربّ العُلَى ... بَذَلَ النصيحةَ رافعَ الأعماد
مِثلَ الهِلالِ مُبارَكًا، ذا رَحمة ... سَمْحَ الخَليقةِ، طَيِّبَ الأعْوَادِ[1]

ومما نجده للصحابة من الدعاء بالرحمة في رثاء غير الرسول صلوات اللّه عليه، ما يُروى من قول عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيلٍ رضي الله عنهما ترثي زوجَها عُمر بن الخطاب رضي الله عنه:

مَنْ لِنَفسٍ عَادَها أحزَانُها ... وَلِعَيْنٍ شَفَّها طُولُ السَّهَدْ
جَسَدٌ لُفِّفَ في أكْفانِهِ ... رَحمَةُ اللّهِ على ذَاكَ الْجَسدْ[2]

(١) انظر: الإصابة ٦/٤٠٤.
(٢) انظر: ديوان الحماسة ص٣١٨.

القسم الثاني
(الرَّحْمَةُ) في نَثْرِ الصَّحَابة

(الرَّحْمةُ) في خَطابة الصَّحابة:

تنتشر (الرحمة) في مواضع مختلفة من خُطَبِ الصحابة، نرى ذلك واضحًا في خطاباتهم السياسية، وفي خُطَب الجهاد والقتال والغَزْو -وهي من أكثر المواضع التي ذُكرتْ فيها الرحمة؛ إيذانًا أنَّ الإسلامَ وإن أمر بالجهاد والقتال؛ فإنَّ ذلك لتحقيق: الغاية منه، ألا وهي الرحمةُ بالخلق، وإنقاذهم مما هم فيه من ضلالٍ قد يؤدي بهم إلى نار جهنَّم في الآخرة، وضيق الصدر والشِّقْوةِ في الدنيا- ونراه أيضًا في خطبِ المراثي النثرية، وليس غريبًا أن يكون ذكرها كثيرًا في مثل هذا النوع من الخطب، وفي خُطَبٍ أخرى، كالخطَب في العدل وأوقات المِحَن، وهذا بيانُ تلك المواضع.

(في الخطب السياسيَّة)

لعلَّ أشهر خطب الصحابة السياسية جمعاء خطبةُ أبي بكرٍ ﷺ في مستهل خلافته، وهي فاتحةُ الخطب السياسية في الإسلام بعد الرسول ﷺ، وفيها وضع الصدِّيق دُستور الحُكم الذي سوف يسير عليه، بأنَّ طاعتَه واجبةٌ ما دامت منضويةً تحت طاعة الله عز وجل، فإذا عصى اللهَ أبو بكر فلا طاعة على المسلمين له، ثم إن ختمها بجُملةٍ نبويةٍ شهيرةٍ

في الخطابة، هي قولُه ﷺ: «قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله»[1]. فجعل رحمةَ الله نهايةَ خُطبته، وكأنَّ نظامَ الحُكم، وسياسةَ الناس، وما يُفْرَضُ عليهم من القيود والأحكام، إنما هو لرحمتهم من الله عز وجل، تلك الرحمة التي ما فتئ يتحدث عنها ويسعى إليها الصحابة.

أمَّا عُمر فإنه أورد (الرحمة) في موطنٍ لطيفٍ من خطبةٍ له يذكر فيها ولايتَه، وأنَّه لا قوة له في هذا الأمر إلا بقوة الله عز وجل وحَوْله وطَوْله، فيقول: "يا أيها الناس، إني قد وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقواكم عليكم، وأشدَّكم استضلاعًا بما ينوب من مُهِمِّ أموركم ما توليتُ ذلك منكم، ولكفى عُمَرَ مُهِمًّا مُحْزِنًا انتظارُ موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخُذُهَا، ووضْعِها أين أضعُها، وبالسَّير فيكم كيف أسير، فربِّيَ المستعان؛ فإن عُمر أصبح لا يثق بقوةٍ ولا حيلةٍ إن لم يتداركْه الله عزَّ وجل برحمته وعونه وتأييده"[2]. فهذا هو معنى الاستخلاف في الأرض، وأنَّ الحاكم المسلم الذي يُريد أن يحكم بأمر الله في الأرض، لن يستطيع أن يحكم بذلك، إلا برحمة الله عز وجلَّ له، وعونِه وتأييدِه.

ومن معاني الرحمة في خطب الصحابة معنى لطيفٌ جليلٌ وقَفَ عليه، بل استخرجه عُمر بن الخطاب، بثاقب نظره، وصادق بصيرته، وهو معنى جاء في معرِض خُطبةٍ شَقَّقَ فيها القولَ في العدل، فذهب به كلَّ مذهب، وأوغل في أغواره، وعقد بينه وبين المعاني الصِّلات، وصبر نفسَه حتى جعل للعدل أماراتٍ وتباشير، وجعل تباشيرَه (الرحمةَ)، فكان مما قاله في تلك الخُطبة العظيمة الجامعة: "... وإن للعدل أماراتٍ وتباشير؛

(١) تاريخ الرسل والملوك، للطبري، أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد ٣/٢١٠ (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٦)، والسيرة النبوية، لابن هشام، أبي محمد عبدالملك بن هشام ابن أيوب الحِمْيَريّ، المصريّ ٢/٦٦١ (تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبدالحفيظ شلبي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١/١٣٧٥هـ).

(٢) المصدر السابق ٤/٢١٤-٢١٥.

فأمَّا الأمارات: فالحياء، والسَّخاء، والهَيْنُ، واللِّين. وأما التباشير: فالرحمة..."[1].

إنه معنى جديد كلَّ الجدَّة، ومفاجئٌ كلَّ المفاجأة، لقد توقعنا أن يُحدِّثنا عمر عن أسباب العدل وشروطه وخصائصه، لكنه حدَّثنا عن أسراره وروحه ومقاصده، وهذا موضع امتيازٍ غير غريب عن عُمر. إنَّ الرحمةُ في فَهْم الفاروق ليستْ إلا زادًا لمن يروم العدل، بل العدلُ ليس إلا سبيلًا ينبغي أن يُفضَى في خاتمته إلى الرحمة، فالرحمةُ أثرٌ له، وثمرةٌ من ثماره، ودليلٌ عليه! وليست الرحمة سببًا فاضلًا لمن يروم القضاء بين العباد والعدل، بل هي أصلُ كلِّ ذلك وعاقبتُه ونهايتُه، عرَفَ ذلك من عرفه، وجهِله من جهله. وليست الرحمةُ منَّةً ولا تفضُّلًا من الحاكم أو القاضي أو وليِّ الأمر، بل هي شيءٌ استحبَّه الشارعُ له، وحَثَّهُ عليه، إن هو أرادَ الخير لنفسه، ورامَ العدلَ حقًّا لا ادعاءً.

(في خُطَبِ الجِهاد والغَزْو)

وفي الجهاد في سبيل الله، يستعمل الصَّحابةُ الدعاءَ بالرحمة للمسلمين، وهم يندُبونهم إلى النفير واللَّحاق بالجيش، كأنه لا يصلح في مثل هذا الموضع من مواضع البَذْل -بَذْلِ الأرواح- لا يصلحُ مُغْرِيًا إلا رحمةُ الله عز وجل، وكفى بها مُغْرِياً! فعل هذا الصِّدِّيقُ وهو يدعوهم إلى عون أبي عُبيدة بالجابية لـمَّا بلغه قيام هِرَقل بأنطاكيَة يُعدُّ جيشه لحرب المسلمين: "فرأيتُ أن أُمِدَّ إخوانَكم المسلمين بجُندٍ منكم، يَشْدُد الله بكم ظهورهم، ويكبت بهم عدوهم، ويُلقي بهم الرعب فى قلوبهم؛ فانتدبوا -رحمكم الله- مع هاشم بن عُتْبة بن أبى وقَّاص"[2].

(١) المصدر السابق ٣/٤٨٥. والتَّعْتَعَة: أن تُقبل بالرجل وتُدبر به، وتعنِّف عليه في ذلك (لسان العرب: تعع).
(٢) فتوح الشام، للأزديّ، أبي إسماعيل محمد بن عبدالله البصري ص٣٤ (تحقيق: عبدالمنعم عبدالله عامر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٧٠م).

وليس بعيدًا عن هذا صَنِيعُ سُليمانَ بن صُرَدٍ وهو يدعو أصحابه لقتال مَنْ قَتَلَ الحُسين بن علي، وأن يتوبوا من خِذلانه، فإنه لا توبة لهم إلا أن يستقتلوا ويستبسلوا في قتال مَنْ قتلوه، فلم يكذب أن دعا لهم بالرحمة، إذ هي مُنَى أمثال هؤلاء من النادمين، قال: "فعليكم -يرحمكم الله- في وجهكم هذا بطول الصلاة في جوف الليل، وبذكر الله كثيرًا على كل حال..."(١).

ولـمَّا كانت رحمةُ الله تعالى هي أمنيَّةُ المقاتلين في سبيله، استغلَّها معاذُ ابن جبل وهو يُبشِّرُ أصحابَه بالنصر إذا هم صَبَرُوا لعدوِّهم، ولم يتنازعوا فيفشلوا؛ فناداهم في الموقف بقوله: "يا قُرَّاء القرآن، ومستحفظي الكتاب، وأنصارَ الهُدى، وأولياءَ الحق؛ إنَّ رحمة الله -والله- لا تُنال، وجَنَّتُه لا تُدخل؛ لأمانيّ..."، ثم قال: "أنتم إن شاء الله منصورون، فأطيعوا الله ورسولَه، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين..."(٢).

وفي معنًى آخر من معاني القتال، معنى الثبات ومباشرة الخَصْم، خطبَ عليُّ بن أبي طالب ﷺ في المقاتلين معه، حاثًّا إيَّاهم على أن لا يترك أحدٌ منهم خَصْمَه في القتال فينصرفَ إلى أخيه، فيجتمع على أخيه رجلان يُقاتلانه، فيُجلَّل بذلك عارًا، فيقول: "أَجْزَأَ امرؤٌ وَقَذَ(٣) قِرْنَه -رحمكم الله- وآسى أخاه بنفسه، ولم يَكِلْ قِرْنَهُ إلى أخيه؛ فيكسب بذلك لائمةً، ويأتي به دناءة..."(٤). وكأنَّ الذي أدَّى حقَّه في القتال في تلك اللحظة الحاسمة، استحقَّ رحمةَ الله عز وجل.

إنَّ هذا الدعاء بالرحمة في هذا الموضع نوعٌ من إغراء القلوب لكي

(١) تاريخ الرسل والملوك ٥/١٢٤.
(٢) فتوح الشام، للأزدي ص٢١٨-٢١٩.
(٣) وَقَذَه يَقِذُه وَقْذًا: ضربه حتى استَرْخى وأشرف على الموت (لسان العرب: وقذ).
(٤) تاريخ الرسل والملوك ٥/١٦-١٧.

تُؤْثِرَ في موطنٍ تَضِنُّ فيه كلُّ النفوس، وكيف لا تَضِنُّ وهي الفداءُ إنْ بَذَلَتْ! وكأنَّ عليًّا -وهو القائدُ الخبيرُ- قد علم أنَّ مثل هذا النوع من الدعاء -لا سواه- يُرقِّقُ القلوبَ، ويُهيِّئُها، فتُسرعُ إلى الإجابة، أو يُذكِّرُها، ويُرغِّبُها، فتتنبَّهُ إلى أنَّ الغايةَ المرجوَّةَ إنما هي رحمةُ الله عز وجل.

على أن من خير مواطن ذكر الرحمة في الجهاد في سبيل الله موطنًا نادرًا، هو موطنُ مَعْذِرة المنهزمين، وهو موطنُ أشدُّ ما يحتاج المرء إلى الرحمة فيه، هذا ما فقهه عمر بن الخطاب -وما كان أفقهَ عمر بن الخطاب سياسةً وعلمًا وحُكْماً- يومَ جاءه خبرُ انهزام أبي عُبيدٍ في وقعة القُرْقَس[1]. ومن خبرها أنَّ المسلمين نَهَوْا أبا عُبَيْدٍ -وكان قائد الجيش- عن عبور النهر إلى الفُرْس، فلجَّ أبو عُبيد وترك الرأي، وقال: لا يكونون أجرأ على الموت منا، بل نعبر إليهم. فاقتتلوا يومًا، حتى إذا أسرعت السيوف في أهل فارس وأُصيب منهم ستةُ آلاف، ولم يبقَ ولم يُنتظر إلا الهزيمةُ، خبط الفيلُ أبا عُبيد وقام عليه، فجال المسلمون جولةً، وركِبهم أهلُ فارس، فبادر رجلٌ من ثقيفٍ إلى الجسر فقطعه، فانتهى الناسُ إليه والسيوف تأخذهم من خلفهم، فتهافتوا إلى الفرات، فأصابوا يومئذٍ من المسلمين أربعة آلاف؛ من بين غريقٍ وقتيل، وهرب من الناس بَشَرٌ كثير على وجوههم، وافتُضحوا في أنفسهم، واستحيَوا مما نزل بهم، وبلغ ذلك عمرَ عن بعض مَنْ أوى إلى المدينة فقال: "عباد الله! اللهم إنَّ كل مسلم في حِلٍّ مني، أنا فئة كل مسلم، يرحم الله أبا عُبيد! لو كانَ عَبَرَ فاعتصم بالخيف، أو تحيَّز إلينا ولم يستقتل؛ لكُنَّا له فئة"[2]. إنها الرحمةُ لفظًا ومعنًى بجنود المسلمين؛ لفظًا

(١) ويقال لها: القُسُّ قَسَّ الناطف، ويقال لها: الجسر، ويقال لها: المروحة (انظر: المصدر السابق ٤٥٤/٣).

(٢) المصدر السابق ٤٥٤/٣-٤٥٥. وعُمر يُشير إلى قول الله جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال:١٥-١٦].

بالدعاء بالرحمة، ومعنى بتأويل صنيعهم بأنه تَحيُّزٌ إلى فئة، وهذا من غاية الفقه، ومن غاية الشفقة بالمسلمين من لدُن عُمر!

وفي رواية الشعبيِّ أنَّ عُمر لما أُخبر بالخبر اشتدَّ ذلك عليه ورحِمَهم، وقال: "اللهم كلُّ مسلم في حِلٍّ مني، أنا فئةُ كل مسلم، مَنْ لقي العدوَّ ففظِع بشيء من أمره فأنا له فئة، يرحم الله أبا عُبيد لو كان انحاز إليَّ لكنتُ له فئة!"[1].

إنه الحنان من لدُن الخليفة على من ابتعثهم في الجهاد من الرعيَّة، وهو في الغاية من حُسن السياسة وتدبير المُلك، وقد كانت غزوة أبي عُبيد من طلائع ما أرسله عمر من الجيوش إلى تلك النواحي، فما كان ثَمَّة مناصٌ من رأب الصدع، وتسليةِ النفوس الكليمة، وبمثل هذا الخبر نشهد لأبي بكرٍ بصدق حَدَسه، وصواب رأيه في أنه سوف يلين جانب عُمر لعباد الله المؤمنين[2].

ومن لين عُمر وحنانه على المسلمين في هذه الوقعة وقعةِ القَرْقَس ما رُوي عن ابن إسحاق عن محمد بن عبدالرحمن بن الحصين وغيره أن معاذًا القارئ أخا بني النجار كان ممن شهدها ففر يومئذ، فكان إذا قرأ هذه الآية: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال] بكى، فيقول له عُمر: لا تبكِ يا معاذ، أنا فئتك، وإنما انحزتَ إليّ[3].

(١) المصدر السابق ٤/٤٥٨. قال السَّرَخسيّ شرحًا لهذا الأثر: «ففي هذا بيان أنه لا بأس بالانهزام إذا أتى المسلمين من العدو ما لا يُطيقهم. ولا بأس بالصبر أيضًا بخلاف ما يقوله بعض الناس إنه إلقاء النفس في التهلكة...» (شرح السِّيَر الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، إملاء محمد بن أحمد السرخسي ١/١٢٥، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجّد، معهد المخطوطات العربية، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية ١٩٧١م).

(٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، أبي بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم العبسي، رقم ٣٢٦٧٦ (حققه وقدم نصوصه وخرج أحاديثه: محمد عوامة، دار قرطبة، بيروت، ط١/١٤٢٧هـ).

(٣) انظر: تاريخ الرسل والملوك ٣/٤٥٩.

(في خُطَبِ المِحْنَة)

مما أُثر عن ذلك عند الصحابة خطابتُهم في محنة طاعون عَمَواس، وكان من سبيل تصبير الناس على المصيبة إذْ ذاك تذكيرُهم -وقد اشتعلَ بهم الوجعُ، وكثُر الهلكى- أن هذا البلاء إنما هو رحمةٌ من الله عز وجل، وكأنَّ الرحمة قد صارت العزاء لمن يواجه أشدَّ البلايا، ونِعمَ العزاءُ هي.

فعن شهر بن حوشب الأشعري، عن رابة -رجلٍ من قومه، وكان قد خلف على أمِّه بعد أبيه، وكان شهِد طاعون عَمْواس- قال: لما اشتعل الوجع قام أبو عُبيدة في الناس خطيبًا فقال: «أيُّها الناس، إنَّ هذا الوجعَ رحمةٌ بكم، ودعوةُ نبيكم محمد ﷺ، وموتُ الصالحين قبلكم. وإنَّ أبا عُبيدة يسأل الله أن يقسِمَ له منه حظَّه»[1]. فطُعن فمات، واستُخلف على الناس معاذُ بن جبل.

فقام معاذٌ خطيبًا بعده فقال: «أيُّها الناس، إن هذا الوجعَ رحمةٌ بكم، ودعوةُ نبيكم، وموتُ الصالحين قبلكم. وإنَّ معاذًا يسأل الله أن يقسم لآل معاذٍ منه حظَّهم»[2].

(الرَّحْمةُ) في المراثي النثْريَّة:

تتصلُ الرحمةُ اتصالًا وثيقًا بالموت، فأول ما يدعو المسلمُ لأخيه المسلم إذا بلغه موتُه أنه يدعو له بالرحمة، ولذا ليس غريبًا أن يذيعَ هذا المعنى في مراثي الصحابة النثرية. إنَّ بعض هذه المراثي قد يدخلُ في باب الخطب إذا نحن أغضينا عن عُنصر الجمهور فيه، ذلك أنَّ كثيرًا منها كان يقف الصحابيُّ على قبر أخيه أو عليه أو على نعشه، ثم يرثيه بهذه الكلمات البليغات الكَليمات، التي تفيض حسرةً ولوعةً وألماً، وكانوا كثيرًا

(١) تاريخ الرسل والملوك ٤/٦١.
(٢) المصدر السابق ٤/٦٢.

ما يبدؤون تيك المراثي بلفظ (الرحمة)، كأنه لما كان خاتمةَ ما يرجوه المسلمُ من حياته، بَشَّرَه صاحبُه به فبدأ مرثيتَه به، فمن جليل ما يُروى من ذلك وجميله -لما فيه من ذكر محاسن الميت الصحيحة، ومن التصبُّر على فراقه- مرثيَةُ الحُسين بن عليٍّ أخاه الحَسَن بن عليٍّ رضي الله عنهما، وفيها يَعُدُّ مناقب أخيه، ويُورد أخبارَه الجميلة: من نُصرة الحق، والورع، والزهد في الدنيا، والعفاف، والحِلم. وهو يفتتح هذه المرثيةَ بالدعاء له بالرحمة على صيغة الخَبَر، وكأنَّ الرحمة متحققةٌ بدعاء النبي لهم آلَ البيت، فيقول في مطلع نَدْبه: «رحمك الله أبا محمد؛ إن كنت لتُناصر الحقَّ مظانَّه...»[1].

إنَّ الراثيَ يفتتحُ رثاءه بأرجى ما يتمناه الإنسانُ له، بل بأرجى ما يتمناه الميتُ لنفسه، ألا وهو الرحمة.

كما أنَّ هذه الطريقة من طلب الرحمة المعلَّل بذكر محاسن الميت، هذه الطريقة ذات أصلٍ في الشريعة الإسلامية، فقد جاء في الحديث أنَّ الناسَ شُهداءُ الله في خلقه، فمن أثنوا عليه خيرًا وجبتْ له الجنة. فكأنَّ الصحابة أرادوا تحقيق: هذا المعنى في رثائهم إخوانهم؛ حيث يتقرَّبون إلى الله عز وجلَّ وهم يطلبون لهم الرحمة بأعمالهم الصالحة الجميلة السالفة لهم في الدنيا.

ومن هذا النوع من الافتتاح بالرحمة ثم ذِكْر مآثر الميِّت الصالحات، رثاءُ معاذ بن جبلٍ أبا عُبيدة بن الجراح رضي الله عنهما -وكان الطاعونُ قد أصاب أبا عُبيدةَ بأرض الشام فقتله- فيصوغُ معاذٌ رثاءه في كلمات كأنَّما صيغتْ من حبَّات نفسه: «رحمك الله يا أبا عُبيدة؛ فوالله لأُثنينَّ عليك بما علمتُ، والله لا أقول باطلًا يُخاف أن يلحقَني من الله مَقْتُه، كنتَ -والله- ما علمتُ من الذاكرين اللهَ كثيرًا، ومن الذي يمشون على الأرض هونًا، وإذا

(١) تاريخ دمشق، لابن عساكر ٢٩٦/١٣.

خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، ومن الذين يبيتون لربهم سُجَّدًا وقياماً، ومن الذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً، وكنت -والله- ما علمتُ من المُخبتين المتواضعين، ومن الذين يرحمون اليتيم والمسكين، ويبغضون الجُفاة المتكبّرين». قال الراوي: ولم يكن أحدٌ من الناس كان أشدَّ جزعًا على فَقْد أبي عُبيدة وعلى موته، ولا أطولَ حزنًا عليه من معاذ بن جبل[1].

لقد مدحَ معاذٌ أبا عُبيدة برحمته لليتامى والمساكين، فكأنَّه استحق بذلك الدعاء له بالرحمة في الآخرة جزاءً وفاقًا. وهذا في الأدب من قبيل ردِّ العجُز على الصدر في مثل هذا النوع من المراثي النثرية.

وكان معاذٌ قد خطب خطبةً قبلها عند موت أبي عُبيدة دعا فيها إلى التوبة، وردِّ الديون، وإصلاح ذات البين، كأنه يقول لهم: لستم عن الموت بمأمن، فاستعدُّوا له، ثم قال يرثيه ويذكر محاسنَه، ويطلب إليهم أن يدعوا له بالرحمة كذلك على العكس من الطريقة الأولى، إذ ذكر الأسبابَ أولًا ثم ذكر المطلوبَ فقال: «وإنكم أيها المسلمون قد فُجعتم برجلٍ، واللهِ ما أزعم أني رأيتُ منكم عبدًا من عباد الله قطُّ أقلَّ غمرًا، ولا أبرأَ صدرًا، ولا أبعدَ من الغائلة، ولا أنصحَ للعامة، ولا أشدَّ عليهم تَحنُّنًا وشفقةً منه؛ فترحَّموا عليه، ثم احضُروا الصلاة عليه، غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر. واللهِ لا يَلي عليكم بعده مثلُه أبدًا!»[2].

ثمَّ طُعِنَ معاذٌ بعد وفاة أبي عُبيدة في الطاعون نفسِه طاعونِ عَمَواس، فمات رَحِمَهُ اللَّهُ، فرثاه عمرو بن العاص رثاءً قريبًا من رثائه أبا عُبيدة، ودعا له بالرحمة دعاءً كدعائه له، من قبيل طلب الرحمة، ثم ذكر أسباب طلبها، قال: «رحمك الله يا معاذ؛ فقد كنتَ -ما علمناك- من نُصَحاء المسلمين،

(١) فتوح الشام، للأزديّ ص٢٦٨.
(٢) فتوح الشام، للأزديّ ص٢٦٨.

ومن خيارهم، وكنتَ مؤدِّبًا للجاهل، وشديدًا على الفاجر، رحيمًا بالمؤمنين. وايمُ الله لا يُستخلف من بعدِك مثلُك!»[1]. إنما يتضمَّن هذا الرثاء -علاوةً على ما فيه من معاني الحُزن على معاذٍ- مكافأة له، ومعرفةً لما أسلفه من حُسن رثائه أبا عُبيدة وشهادته بالخير له. وكذا كان الصحابة ﷺ، يُحب بعضُهم بعضًا، ويعرفُ أحدهمُ الفضلَ والسابقةَ لأخيه.

ومن نوع تقديم (الرحمة) أيضًا ما رُويَ أن عليَّ بن أبي طالب ﷺ وقفَ على قَبْر خَبَّاب بن الأَرَتّ ﷺ، فدعا له بالرحمة مستشهدًا بأعماله الصالحات، وحُسْنِ إسلامه، وصبره على البلاء، فقال: «رَحِم اللهُ خَبَّابًا؛ لقد أسْلم رَاغِبًا، وجاهد طائعًا، وعاش زاهدًا، وابتُلي في جسمه فَصَبر، ولن يُضيع الله أجرَ من أحسن عملاً»[2].

ومنه قولُ أسماء بنت أبي بكر وهي تدعو لولدها عبدالله بن الزبير ﷺ وهو مصلوب: «اللهم ارحم ذلك السجودَ والنحيب، والظمأ في تلك الهواجر»[3]. تدعو له بصلاته وصيامه.

ثم إنَّ لدينا من مراثي النساء مرثيةٌ بليغةٌ طويلةٌ إذا قيست بسواها من مراثي النساء النثرية[4]، هي مرثيةُ عائشة لأبيها المشهور، وهي فيها تؤخرُ طلبَ الرحمة ضمن أشياء أخرى، بعد أن تسرد مآثر أبي بكر الصديق وشمائله، تقول فيها: «نضَّر اللهُ وجهَك يا أبت، وشكر لك صالحَ سعيك؛ فلقد كنت للدنيا مُذلًّا؛ بإدبارك عنها، وللآخرة مُعِزًّا؛ بإقبالك عليها... فعليك السلام ورحمةُ الله، توديعَ غيرِ قاليةٍ لحياتك، ولا زاريةٍ على القضاء فيك»[5].

(١) المصدر السابق ص٢٧٢.
(٢) العقد الفريد، لابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ١٧١/٢ (تحقيق: محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٥٩هـ).
(٣) تاريخ دمشق ٢٣٥/٢٨. تريد: صاحَبَ السجود والنحيب والظمأ، المسبِّب لها، فالعلاقة المسبِّبية.
(٤) انظر: البنية الفنية في نثر الصحابة: دراسة تحليلية، لمحمد شمس عقاب ص٢٠٩-٢١٠ (رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ٢٠١٥م).
(٥) العقد الفريد ١٧٣/٣.

على أنَّ من طرائف الرثاء الوارد فيه ذكرُ الرحمة، رثاء أحد الصحابة بعضَ جسده[1]، وهو معاويةُ بنُ أبي سفيان ﷺ، ففي الخبر أنه لما سقطت ثَنيَّتاه لَفَّ وجهه بعِمامة، ثم خرج إلى الناس فقال: «لئن ابتُليتُ لقد ابتُلي الصالحون قبلي، وإني لأرجو أن أكون منهم. ولئن عُوقبتُ لقد عوقب الخاطئون قبلي، وما آمنُ أن أكون منهم. ولئن سقط عُضوان مني لما بقي أكثر. ولو أَتى على نفسي لما كان لي عليه خيارٌ تبارك وتعالى، فرحم الله عبدًا دعا بالعافية»[2].

(الرَّحْمَةُ) في رَسَائلِ الصَّحابة:

(الكُتُب السِّياسيَّة)

لعل أكثر ذكرٍ (للرحمة) في كتابٍ سياسي ما ورد في كتاب عُثمان بن عفان ﷺ إلى أهل الموسم قُبيل وفاته، فقد جاء ذكرُ الرحمة في في آخر مقطع منه مرات أربع، ثلاثٌ منها مرغِّباتٍ راجيات، وموضع في صيغة السلام المعروفة عند المسلمين. وسبب هذا التكرار أنه جاء في سياق تبرئة ذي النورين نفسَه مما نُسب إليه مما لم يثبت عنه، ولَجَاءِه إلى الله عز وجل -وقد أحدقتْ به الفتنةُ- لا إلى غيره، وتوبتَه إليه فإنَّ ربه هو الغفور الرحيم، وقد كتب: « ... فإني لا أُبرِّئ نفسيَ الأمَّارةَ بالسوء إلا ما رحِم ربي، إن ربي غفورٌ رحيم، وإن عاقبتُ أقوامًا فما أبتغي بذلك إلا الخير، وإني أتوب إلى الله عز وجل من كلِّ عمل عمِلتُه، واستغفره؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا هو، إنَّ رحمة ربي وسعتْ كلَّ شيء، إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضَّالون، وإنه يقبل التَّوبة عن عباده ويعفو عن

(١) سبق الشعراء الجاهليون إلى رثاء أنفسهم شعرًا، كالمثقِّب العبدي (انظر: المفضَّليات، للمفضل بن محمد بن يعلى الضبِّي ص١٤٩، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر، ط٥).

(٢) البيان والتبيين، للجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر ٤/٧١ (بتحقيق: وشرح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٧/١٤١٨هـ).

السَّيئات ويعلم ما يفعلون. أنا أسأل الله عز وجل أن يغفر لي ولكم، وأن يؤلِّف قلوب هذه الأمة على الخير، ويكرِّه إليها الفسق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أيُّها المؤمنون والمسلمون»[1].

كأن عثمان قد أحسَّ دُنوَّ أجله، فلم يجد غيرَ رحمة الله له مآلًا، فسأل الله عز وجلَّ إياه، دعاه به.

(كُتُب الجِهاد)

يأتي ذكر الرحمة في كتب الجهاد عمومًا على سبيل الدعاء الاعتراضي، ذلك أنَّ المجاهدين غايتُهم الاستشهادُ للفوز برضا الله تبارك وتعالى ونوال رحمته، ففي كتابٍ كتبه أبو عُبيدة لخالد بن الوليد في حروب الشام دعا له في درَجه فقال: «وأنت -رحمك الله- على حالك التي كنت بها: لا يُعصَى في أمرك، ولا يخالَف رأيك»، ثم دعا له في آخره دعاءً صريحًا بقوله: «تمَّم الله ما بنا وبك من نعمة الإحسان، ورحمنا وإياك من عذاب النار. والسلام عليك ورحمةُ الله»[2].

ومما كتبه الصدِّيق في الترغيب إلى الجهاد والدعوة إليه ذاكرًا (الرحمة) في عَرَضه مرَّتين: «فاتقوا -عبادَ الله- بموعود الله، وأطيعوه فيما فَرض عليكم، وارغبوا في الجهاد -رحِمكم الله- وإن عظُمت فيه المُؤْنة، وبعُدت فيه المشقة... ألا وإني قد أمَّرت ابن الوليد بالمسير إلى العراق ليلحق بالمثنى بن حارثة... فسيروا معه -رحمكم الله- ولا تتناءَوْا عن المسير؛ فإنه سبيلٌ يُعظِّم الله فيه الأجر»[3].

(١) انظر الكتاب بطوله في: تاريخ الرسل والملوك ٤/٤٠٧-٤١١.
(٢) فتوح الشام، للأزدي ص٧١-٧٢.
(٣) كتاب الرِّدَّة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنّى بن حارثة الشَّيبانيّ، للواقديّ، محمد بن عمر بن واقد -كذا نسبه المحقق للواقدي، والصواب أنه لابن أعثم- ص٢١٨-٢١٩ (تحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/ ١٤١٠هـ).

صيغةُ (الرحمة):

إذا نظرنا في صياغة الجملة التي ترد فيها الرحمة وجدناها جُملًا إنشائيَّةً غالبًا، أو جملًا خبريَّةً على معنى الإنشاء، وتكاد الجُملُ الدُّعائيَّةُ أن تستولي على تلك الجمل الإنشائيَّة الطلبيَّة، من نحو هذه الأدعية: «رَحِمَ اللهُ نافعَ بنَ بُديلٍ»(١). «رَحِم اللهُ خَبَّابًا»(٢)، «رحمك الله أبا محمد»(٣)، «رحمك الله يا أبا عُبيدة»(٤)، «رحمك الله يا معاذ»(٥). هذا في الرثاء، وجُلُّه بصيغة الماضي، وكأنَّهم لـمَّا عرفوا حُسن أعمالهم في الدنيا، وعرفوا عميمَ فضل الله عز وجل؛ استيقنوا أنَّ الله عز وجل -بواسع رحمته- راحمُهم، فصاغوا أدعيتَهم بصيغة الماضي، وكأنَّ ذلك متحقِّقٌ بمشيئة الله جل وعلا، أو هو متحقِّقٌ في نفوسهم، أعني نفوسَ الداعين.

وقريبٌ من هذا، بل آكَدُ منه -من جهة التحقُّق- أن يأتي الدعاءُ في قالَب المصْدر، ذلك أنَّ المصدر لا زمنَ فيه، فكأنَّ المعنى لا شكَّ في حدوثه، من مثل هذه الأدعية: «رَحْمَةُ اللهِ وَالسَّلاَمُ عَلَيْهِ»(٦)، «فعليك السلام ورحمةُ الله»(٧)، «رَحمَةُ اللهِ على ذَاكَ الْجَسدْ(٨)».

أما في خطاب الأحياء فإن (الرحمة) تأتي بصيغة الماضي كما مرَّ، والمضارع أيضًا، وكأنَّ الداعيَ بهذه الصيغة -أي:المضارع - يُريد أنَّ الرحمة لـمَّا تزلْ تتنزَّل عليكم، أو كذلك يرجو من دعائه لهم، كهذه

(١) من رثاء حسان له في: الإصابة ٤٠٤/٦.
(٢) من كلام لعليٍّ في: العقد الفريد ١٧١/٢.
(٣) من رثاء الحُسين لأخيه الحسن في: تاريخ دمشق ٢٩٦/١٣.
(٤) من رثاء معاذ له في: فتوح الشام، للأزديّ ص٢٦٨.
(٥) من رثاء عمرو بن العاص له في: فتوح الشام، للأزدي ص٢٧٢.
(٦) من شعر صفية ترثي النبي ﷺ في: الطبقات الكبير ٢٨٦/٢.
(٧) من خطبة عائشة ترثي أباها في: العقد الفريد ١٧٣/٣.
(٨) من رثاء عاتكة بنت زيد لعُمر في: ديوان الحماسة ص٣١٨.

الجُمل: «قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله»[١]، «فعليكم -يرحمكم الله- في وجهكم هذا بطول الصلاة»[٢]، «يرحم الله أبا عُبيدٍ»[٣].

أمَّا صيغة الأمر، وهي من الصِّيَغ الطلبيَّة، فلم يأتِ الدعاءُ بها إلا مرةً واحدةً هي: «اللهم ارحم ذلك السجودَ والنحيب، والظمأَ في تلك الهواجر»[٤]. وهذا من قبيل الأدب مع الله عز وجل -مع جواز استعمال الصيغة ومشروعيَّتها في الدعاء- ولكنَّ هذا ما وجدناه من شأن الصحابة ﷺ في هذا الموضع.

هذا في الجمل الإنشائية، أما الجمل الخبرية فعامَّتُها قريبٌ من هذا من حيثُ اليقينُ والتحقُّق -وإن جاءت في صيغة الخبر- كالجمل التي أتتْ وفيها إخبارٌ بالنُّبوَّة أو الرسالة، والصحابةُ أشدُّ الناس تصديقًا بذلك إذا خاطبَ بعضُهم بعضًا بها، فأثرُ الخطاب فيهم حينئذٍ أثرٌ عاطفيٌّ لا يحتملُ استدعاءً للعقل للبحث في صحة الخبر من عدمها؛ إذ هو صحيحٌ صادقٌ عندهم لا مراء فيه، وذلك في نحو هذه الجمل: «مِثْل النَّبِيّ رَسُولِ الرَّحْمَة الهَادِي[٥]»، «رَحْمَةً كَانَ لِلْبَرِيَّةِ طُرًّا»[٦]، «وفيه رحمةٌ»[٧]، «يَا لَهَا رَحْمَةٌ أُصيبَ بِهَا النَّاس تولَّت وحانَ منها الرحيلُ»[٨]، ««نَبِيٌّ تُلاقِيهِ من الله رَحْمَةٌ»[٩]... إلى مَثيل تلك الجُمل.

أمَّا ما سوى ذلك من الجمل الخبرية التي تنزل عما مضى درجةً فقد يجنح الصحابة إلى توكيده بالمؤكدات اللفظية إن احتاجوا إلى ذلك، كهذا

(١) من خطبة لأبي بكر في: تاريخ الرسل والملوك ٣/٢١٠.
(٢) من خطبة سليمان بن صُرَد في: المصدر السابق ٥/١٢٤.
(٣) من دعاء عمر بن الخطاب له في: المصدر السابق ٣/٤٥٤-٤٥٥.
(٤) من دعاء أسماء لابنها عبدالله بن الزبير في: تاريخ دمشق ٢٨/٢٣٥.
(٥) لحسان، انظر: ديوانه ١/٢٧٢.
(٦) لصفية بنت عبدالمطلب في: الطبقات الكبير ٢/٢٨٦.
(٧) لإياس بن سلمة بن الأكوع في: الإصابة ١/١٦٤.
(٨) لمُرَّان بن عُمير في: الإكليل من أخبار اليمن، للهمْدانيّ ١٠/٤٨.
(٩) لقيس بن طريف في: الإصابة ٥/٤٨٢.

المعنى الذي أراد تقريرَه معاذُ بن جبل: «إنَّ رحمة الله -والله- لا تُنال، وجَنَّتُه لا تُدخل؛ لأمانيّ»[1]. ومع أنه معلومٌ صِدقُه فإنه قد أقسمَ عليه وصدَّر الجملةَ بـ (إنَّ). وكهذا المعنى الذي قد تُنكره النفوسُ في وقت المحنة، وهو قول أبي عبيدة وقد ضربَ الناسَ الطاعونُ: «إنَّ هذا الوجعَ رحمةٌ بكم»[2]؛ فقد احتاج الصحابيُّ إلى توكيده بالحرف المؤكِّد.

نخلُص مما مضى أنَّ جملةَ الرحمة حين كانت تخرج من ألسنة الصحابة أو تلقاها أسماعُهم، لم تكن قلقةً أو يعتريها شك، بل كانت تتلقَّاها القلوبُ مستعدَّةً لصداها الذي وقع من الأذُن الموقعَ الذي ابتغاه له المنشئ أو نحوًا من ذلك، وقد سلك هذا المنشئ الصحابيُّ مسالكَ مختلفة حتى يصل بمعنى (الرحمة) إلى مبتغاه، فصاغه في جملٍ مختلفة، إنشاءً وخبرًا؛ غير أنه رامَ من كل ذلك التأثيرَ في القلوب في مقامه الأول لا شكّ.

(١) فتوح الشام، للأزدي ص٢١٨-٢١٩.
(٢) تاريخ الرسل والملوك ٦١/٤، ٦٢/٤.

الخاتمة

أراد هذه البحثُ تتبُّعَ لفظة (الرحمة) في أدب الصحابة بلَوْنيه: الشعر والنثر. وقد وقف البحثُ على معنى الرحمة في شعر الصحابة قبل الإسلام تمهيدًا للنظر فيه في أدبهم بعد إسلامهم. ثم بدأ بالشعر، فوجد المعنى قد انتشر في شعرهم في رثاء الرسول ﷺ، وفي رثاء غيره ممن قُتل أو مات من الصحابة. ولا شك أنَّ المعنى بعد الإسلام قد صار معنًى ركينًا من المعاني الإسلامية في الأدب ولا سيما في الشعر. أما في النثر، في الخطابة والرسائل والكتب، فقد صار ملازمًا لألسنة الصحابة وأقلامهم، على ما هو مبيَّنٌ في ما مضى من الورقات. ثم إنَّ البحث وقف هُنَيْهَةً مع صيغة الرحمة، فوجده يؤدي دلالاتٍ جديدةً جِدَّةَ الإسلام الذي أشرق في جزيرة العرب فأضاءَ الأرض فيما بعد، وهي صيغٌ إنشائية، أو خبرية تؤدِّي معاني الإنشاء، للذي في الإنشاء من خطابٍ للقلوب والمشاعر أكبر منه خطابًا للعقول.

فهرس المصادر والمراجع:

١. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١/١٤١٢هـ).
٢. الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، للحسن بن أحمد الهمْدانيّ (تحقيق: محب الدين الخطيب، الدار اليمنية، ط١/١٤٠٧هـ).
٣. البنية الفنية في نثر الصحابة: دراسة تحليلية، لمحمد شمس عقاب (رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ٢٠١٥م).
٤. البيان والتبيين، للجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر (بتحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٧/١٤١٨هـ).
٥. تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الزَّبيدي (مطبعة الحكومة بالكويت).
٦. تاريخ الرسل والملوك، للطبري، أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٦).
٧. ديوان حسَّان بن ثابت (تحقيق: الدكتور وليد عرفات، دار صادر ١٩٧٤م، مصورة عن طبعة منشورات جب التَّذكارية ١٩٧١م).
٨. السيرة النبوية، لابن هشام، أبي محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحِمْيَريّ، المصريّ (تحقيق:: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبدالحفيظ شلبي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٧٥هـ).
٩. شرح السِّيَر الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، إملاء محمد بن أحمد السرخسي (تحقيق:: الدكتور صلاح الدين المنجّد، معهد المخطوطات العربية، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية ١٩٧١م).

١٠. رثاء الذات في الشعر الجاهلي: دراسة أسلوبية (قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة القاهرة ٢٠٠٥م).
١١. شعر كعب بن زهير، إملاء أبي العباس الأحول ص١٧٩ (ملحق الفائت من شعره)، نسخه وعارضه وصححه عبدالعزيز الميمني، راجعه وعارضه برواية السكرب: محمد صالح إبراهيم فرحات، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ١٤٣٥هـ).
١٢. صحيح البخاري = الجامع الصحيح، للبخاري، أبي عبدالله محمد ابن إسماعيل الجُعفي (تحقيق:: الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣/ ١٤٠٧ هـ).
١٣. الطبقات الكبير، لابن سعد، محمد بن منيع الزهري (تحقيق:: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١/ ١٤٢١هـ).
١٤. العقد الفريد، لابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (تحقيق: محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٥٩هـ).
١٥. فتوح الشام، للأزديّ، أبي إسماعيل محمد بن عبدالله البصري (تحقيق: عبدالمنعم عبدالله عامر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٧٠م).
١٦. كتاب الرِّدَّة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثّنى بن حارثة الشَّيبانيّ، للواقديّ، محمد بن عمر بن واقد -كذا نسبه المحقق- (تحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/ ١٤١٠هـ).
١٧. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، أبي بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم العبسي (حققه وقدم نصوصه وخرج أحاديثه محمد عوامة، دار قرطبة، بيروت، ط١/ ١٤٢٧هـ).

١٨. الكشاف عن حقائق التنزيل، للزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله ابن بهادر (تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت).
١٩. لسان العرب، لابن منظور، محمد بن مكرّم بن علي (تحقيق: عبدالله علي الكبير وزميليه، دار المعارف بمصر).
٢٠. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبويّ والخلافة الراشدة، جمعها محمد حميد الله (دار النفائس، بيروت، ط٧/١٤٢٢هـ).
٢١. المدائح النبوية في الأدب العربي، للدكتور زكي مبارك (مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٥٤هـ).
٢٢. المراثي النبوية في أشعار الصحابة، لمحمد شمس عقاب (مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١/١٤٣٥هـ).
٢٣. المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري محمد بن عبدالله (تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١١هـ).
٢٤. المفضّليات، للمفضّل بن محمد بن يعلى الضبّي (تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، ط٦).
٢٥. مِنَح المِدَح، أو شعراء الصحابة ممن مدح الرَّسول ﷺ أو رثاه، لابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله (تحقيق: عفت وصال حمزة، دار الفكر، دمشق، ط١/١٤٠٧هـ).